أحببت الأمير

هدى عبد الرحيم الشرقاوي- مصر

الأسكندرية شتاء عام ١٩٩٤

يزداد معدل دقات قلبي و تتسارع أنفاسي و تتلاحق و تضطرب ، لا أستطيع التحكم في أعصابي المثارة ...تتشابك اصابعي و تنفرد بطريقة لا أرادية .....يرتجف قلبي و بدا كأنه سيقفز من مكانه.

تنتابني أحاسيس متضاربة من البهجة و الأسى و النشوة و الرهبة وتداعب الظنون رأسي بين يأس و رجاء.

تتناثر حبات العرق على وجهي رغم برودة ديسمبر و هواء و نسمات عبير البحر الابيض المتوسط المنعش الذي يداعب وجهي ممزوجا برائحة اليود .

تساءلت عن سبب كل هذه الفوضي و عن مصدر هذا الضجيج و الصاخب الذي امتلأت به نفسي .

هل كل ما أمر به الآن لمجرد أنني سأراه بعد لحظات قليلة و بعد هذه الشهور الطويلة التي لم يفارقني فيها طيفه و لو للحظة واحدة فلطالما حلمت بلقائه و الوجود بجواره و في حضرته و كم نسج خيالي من حكايات دارت بيننا و كم من أحاديث و حوارات طويلة تبادلناها فقد كان محور أحلام يقظتي و غفلتي .

كم من مرات و مرات تجولت في شوارع مدينتة الكبيرة التي أتحجج بحجج ملفقة للسغر إليها على أمل أن أراه أو أقابله في إحدى الشوارع فيبدو لقائي به و كأنه صدفة أهداها لي القدر و لكن القدر ضن و أبى أن يمنحني تلك الصدفة.

ما هي الا لحظات قليلة و تتحقق هذه الاحلام ولن أترك فرصة اللقاء لعبثية القدر و ألاعيبه، هل حقا سأراه بعد قليل هل سأتمكن من النظر الى عينيه السماوية الصافية التي تعكس النقاء الذي بداخله ؟ هل سيكون بإمكان عيناي احتضان وجهه بقسماته البريئة كوجه طفل غض بريء .

بدا لي عندما رأيته للمرة الاولى و قد دلف الى قاعة محاضرات الفرقة الثانية لطلاب الأدب الإنجليزي كأمير أسطوري هارب من احدى الروايات الرومانسية العتيقة ولم لا و هو يمتلك مظهرا أوربيا أرستقراطيا و وجها أبيضا جميلا و عيونا كثيرا ما تحيرت في تحديد لونها فتارة زرقاء و تارة خضراء و تارة بنفسجية فبدا لي أن تتغيروفقا للون ملابسه و حالته المزاجية .....كان يسير و كأنه يرتدي رداء بهاء سماوي يليق به .

كونه سليلا لإحدى أعرق العائلات في مدينة الاسكندرية و كون والده أحد أهم الرموز والقيادات العلمية والجامعية لم يزده إلا وداعة و رقة و تواضع فإجتمع له حسن الخلق والخلقة و المعشر و الأصل الطيب .

كان يدرس لنا الرواية و كنت عاشقة للأدب القصصي و والتذوق الادبي و الشعر .

كنت أجتهد أثناء محاضرته و أبذل قصارى جهدي و أضفي لمساتي الخاصة في تحليل الشخصيات لشغفي الشديد بفن الرواية من ناحية و من ناحية أخرى ربما يلتفت لي و أثير إعجابه. و لكن ماذا لو لم يتذكرني ؟

لا هذا مستحيل !!!!! إن العيون التي إلتصقت بها عيوني عاما كاملا لا يمكن أن تنساني أو تتجاهلني أو تنبذني.

إن الملائكة لا تعرف الجحود العاطفي لقد أحببت فيه رقيه و تحضره و حسن خلقه و تواضعه و رقته حتى أصبح عندي رمزا لكل معاني الجمال و السمو و الفضيلة و حين هزمني شوقي إليه ...دفعني حنيني للذهاب إليه في عقر عمله.

اقتربت من مكان عمله والذي كثيرا ما حضرت إليه و لكن لم أجرؤ على اقتحامه و اكتفيت بمجرد الطواف حوله و كأنه مكان مقدس لا يجوز اقتحامه أو الاقتراب و لكن تلك المرة كان لا بد أن أراه وعقدت العزم على ذلك فقد جذبني شوقي لرؤيته و غلبني حنيني إليه.

بدأت أصعد درجات السلم و صوت دقات قلبي يعلو ويعلو حتى خشيت أن يلتفت لي المارون بجواري و يرمقوني بنظرة مستفسرة عن مصدر هذا الضيج و سببه، بدأت أنظر الى الفتيات من حولي و قد اكتظ بهن المكان و بدأت أقارن نفسي بهن معظمهن فائقات الجمال و أنا لست كذلك فلم أكن الا فتاة عادية جدا من الطبقة الكادحة التي تحاول بجد أن تجد لها مكانا تحت الشمس.

على الرغم من أنني تأنقت ووضعت بعض المساحيق البسيطة قدر استطاعتي إلا أنني لا أضاهيهن جمالا أو أناقة.

بدأ الهم و الاحباط و الإحساس بالدونية يتسرب إلى أعماقي و تعجبت من اعتقادي أنه ربما ينجذب لي يوما ما و شعرت حينها بضآلتي وسط هذه المدينة الكبيرة و بدوت كقروية ساذجة وسط هذا الحشد الكبير من الجميلات المتأنقات.

إلتصقت قدماي بالارض لوهلة و قررت أن أتراجع و أعود من حيث أتيت و بالفعل استدرت و خطوت خطوات مسرعة للهروب من هذا المكان و لكن رغبتي الشديدة و حاجتي لرؤيته و شدة اشتياقي اليه منعني من ذلك و وجدتني أعواد أدراجي ثانية و أواصل السير في الاتجاة المؤدي إليه.

دلفت ألى مكتبة الكلية و تفحصتها بعناية بحثا عنه ...جالت عيناي بالمكان تفتشه في رهبة ولهفة وجل .....يا إلهي .....إنه هناك في أحد الأركان يطالع كتابا ما .....إنتفض قلبي و إرتعش فؤادي ....تهالكت أعصابي و اضطربت من جديد و أصبحت كالبلهاء ..لم أعرف كيف أتصرف و لم أجرؤ على الذهاب إليه و محادثته وبينما أنا في حيرة من أمري خرج مهرولا من المكتبة متتبعا إحدى الفتيات و وقفا سويا على مقربة مني .

استدرت بسرعة و خشيت أن تلتقي عيناى بعينيه و تظاهرت بالإنهماك في قراءة إحدى مجلات الحائط.

كانا يضحكان سويا و يثيران ضجة وجلبة وصخبا في المكان فتوغر صدري و احترق قلبي و مزقت الغيرة نياط قلبي و بينما يمازحها انتبه إلى عين ترقبه و نظر إلى فشعرت أنه تذكرني فهربت من عينيه وعاودت النظر الى مجلة الحائط و بعد لحظات أعدت النظر إليه و قررت أن أتحدث معه فبحثت عن لساني فما وجدته في فمي و أصابني البكم واإكتفيت بالنظر اليه كما كنت أفعل فيما مضى و بعد لحظات اذا بفتاة جميلة تسبق رقتها خطوتها تقترب منه و تحاوره برقة و تنسحب صديقته وتعود إلى المكتبة و يتضح من حوارهما الذي أسترق السمع إليه أنها إحدى طالباته و تستفسر منه عن بعض الامور التي تخص مادته و بينما هو يوضح لها و يطمئنها انتقلت نظراته بينها و بيني فشعرت أنه سيحادثني و يرحب بي ولكنه استدار ليتابع حديثه معها وتذكرت نفسي و أن أفتعل مواقفا مشابهة و مماثلة لموقف تلك الطالبة من قبل لا لشيء سوى رغبتي في الاقتراب منه والتحدث اليه في أي شيء و عن أي شيء ...و إذا به ينهي حديثه معها متعجلا و ينصرف غير مكترث بوجودي و حزنت لنفسي و تعاطفت مع تلك الطالبة و أدركت حينها أنه أحد أمراء هذ الزمان فهو يمتلك كل شيء و أنا بائسة يائسة خالية الوفاض لا أملك حتى زمام قلبي الذي هفا إليه .

حينها فقط تيقنت أن الوصول إليه محال تماما كالوصول إلى الشمس . أدركت أيضا أنني لست سندريلا ولا حظي حظ سندريلا و لكنني حقا أحببت أميرا.